

الأبعاد الثقافية في مسرحية داعية السلام
(زهير بن أبي سلمى)؛ للدكتورة / ملحة العبد الله

إعداد

الباحثة / عهود سالم هبه بدوي

باحثة دكتوراه في الأدب المسرحي

جامعة الملك عبدالعزيز - بجدة

Email: ehab.mooo81@gmail.com

DOI: 10.21608/aakj.2025.419961.2211

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٩/٢ م.

تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٩/١٦ م.

مُخلص:

تتناول الدراسة إحدى ظواهر استلهام التراث في المسرح السعودي؛ ممثلة في توظيف الشخصية التراثية كشخصية: زهير بن أبي سلمى، والخنساء، والأعشى، والنابعة الذبياني، حسان بن ثابت، ودريد بن الصَّمَّة، وعنترة بن شداد، وقيس بن الملوح... بوصف هذه الشخصيات بالناطق الذي يستحضر عبر ملفوظه الحوارية ظروف عصره وقيمه، وأبعاده الثقافية، ومركزاته الفكرية، والحضارية.

وقد اختار البحث لمقاربة هذه الظاهرة مسرحية "داعية السلام" لملحة العبد الله. التي تُمثل نمطاً مُميزاً في توظيف الشخصية التراثية وإدراجها فنياً في بناء النص المسرحي.

يقوم البحث على بيان القيم الثقافية والتحويلات الفكرية في المسرح السعودي: دراسة تحليلية^(١) لمسرحية (داعية السلام) لـ (ملحة العبد الله)، وتستكشف أيضاً الأبعاد الثقافية والفكرية الكامنة في العمل المسرحي السعودي، وكذلك تُسلط الدراسة الضوء على دور الدراما كمرآة تعكس الوعي الجماعي وأداةً لتشكيل الهوية الثقافية، كما يُحاول البحث توظيف المسرحية للقيم الدينية والوطنية كإطار استراتيجي لتعزيز الوحدة ومواجهة التشرذم المجتمعي، علاوةً على ذلك، ويناقش تأثير الكاتبات المسرحيات في المملكة العربية السعودية ومساهمتهن في الخطاب الثقافي النقدي.

الكلمات المفتاحية: الأبعاد الثقافية، المسرح السعودي، ملحة العبد الله، الشخصية التراثية.

^(١) ويعتمد البحث على المنهج التحليلي والنقدي، مدعوماً بالشواهد من نص المسرحية، وبعدد من المراجع النقدية ذات الصلة.

Abstract:

The study addresses one of the phenomena of heritage inspiration in Saudi theater, represented by the use of traditional characters such as Zuhair ibn Abi Salma, Al-Khansa', Al-A'sha, Al-Nabigha Al-Dhubyani, Hassan ibn Thabit, Duraid ibn Al-Simmah, Antarah ibn Shaddad, and Qays ibn Al-Mulawwah... by describing these characters as speakers who, through their dialogue, evoke the circumstances and values of their time, its cultural dimensions, and its intellectual and civilizational foundations.

The study chose "The Preacher of Peace" by Malha Abdullah to address this phenomenon. This play represents a distinctive style in the use of traditional characters and their artistic integration into the construction of the theatrical text.

The study examines cultural values and intellectual transformations in Saudi theater: an analytical study of "The Preacher of Peace" by Malha Abdullah.

The study explores the cultural and intellectual dimensions inherent in the Saudi theatrical work "The Preacher of Peace" by Malha Abdullah. The study adopts a cultural analytical approach to uncover the mechanisms through which the play generates and consolidates values in the Saudi social context.

The study highlights the role of drama as a mirror reflecting collective consciousness and a tool for shaping cultural identity. It also examines the play's symbolic and linguistic structure, its characters, and thematic conflicts that represent the dichotomy of peace and discord.

The study analyzes the play's use of religious and national values as a strategic framework for promoting unity and confronting societal fragmentation. Furthermore, it discusses the influence of female playwrights in Saudi Arabia and their contributions to progressive cultural discourse.

Keywords: Cultural dimensions - Saudi theater - Al-Abdullah's poem - Heritage character

مقدمة:

إنَّ الأدبَ جزء من الحياة ويُعدُّ ترجمانًا صادقًا لمشاعر الأمة يُصور خلجاتها ويُعبر عن أحاسيسها ويُمثل حياتها بما يعترئها من آمال وآلام وأفراح وأحزان وما تتقلب فيه الأمة من أعطاف النعيم وما تتردى فيه من بؤر البؤس والشقاء، لذلك يجب أن ننبذ الرأي القائل بأن (الفن للفن) وهي نظرية أدبية معروفة أخذناها من الغرب وقامت حولها مناقشات ومجادلات كثيرة، نحن نرفضها لأن ديننا يسعى إلى إسعاد الإنسان في حياته وآخرته^(١).

تُعَدُّ مسرحية (داعية السلام) للدكتورة (ملحة العبد الله) علامة بارزة في المسرح السعودي النسائي، لما تتمتع به من رؤية فكرية وجمالية، كما تُسهم المسرحية^(٢) في تشكيل الوعي الثقافي وترسيخ القيم الإنسانية والاجتماعية في المجتمع، وهي تُعالج قضايا إنسانية عميقة ترتبط بالسلم والحرب، والتطرف والاعتدال، من خلال شخصيات درامية تنبض بالحياة وتتحرك في فضاء درامي مكثف، ومن هذا المنطلق، يسعى البحث إلى تحليل الآليات التي تعتمدها المسرحية في توليد القيم وترسيخها، بالإضافة إلى دراسة أثر هذه القيم في تشكيل الفكر الثقافي في المجتمع السعودي.

كما ينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها أن المسرح ليس مجرد وسيلة للترفيه، بل هو أداة فاعلة في التعبير عن قضايا المجتمع، وتحفيز الوعي الجماعي نحو التغيير والتحول، وخاصة حين يُكتب بقلم أنثوي واعٍ يُدرك التحديات التي تواجهها المرأة والمجتمع على حدٍ سواء.

يُعالج كلُّ فصلٍ من البحث بُعدًا من أبعاد القيم المتولدة في المسرحية، سواءً على مستوى البنية السردية، أو الشخصيات، أو الحوار، أو الفضاء المسرحي.

من أسباب اختيار الموضوع:

مُحاولة الكشف عن الأبعاد الثقافية، والتأثير الثقافي للفن المسرحي السعودي الممثل على خشبة المسرح، وبيان أن المسرح السعودي المعاصر قادر على الإبداع ويستحق الالتفات إليه.

وتكمن مشكلة البحث في:

تتمثل المشكلة البحثية في محاولة الكشف عن مدى تأثير المسرح السعودي المعاصر في تشكيل الوعي الثقافي والاجتماعي لدى أفراد المجتمع، وذلك من خلال تحليل الأبعاد الفكرية في مسرحية (داعية السلام) للكاتبة السعودية د. (ملحة العبد الله)، بوصفها أنموذجاً يعكس التفاعل بين الفن المسرحي وقضايا الإنسان السعودي المعاصر.

أما أهم أهداف البحث فتتمثلت في

الكشف عن الدور القيمي للفن المسرحي السعودي المعاصر في المجتمع، وبيان دور هذا الفن في ترسيخ القيم العربية التاريخية الأصيلة، وإبراز خفاياها.

أما أهمية هذا البحث فتكمن:

في تناول مفهوم الأبعاد الثقافية الذي يُعد مفتاحاً للكشف عن أثر الفن المسرحي السعودي في المجتمع المتمثل في مسرحية (داعية السلام) (زهير بن أبي سلمى)، بالإضافة للاستفادة من القيم العربية السامية الأصيلة والاستراتيجيات العملية لبيان مكامن الجمال في الفن المسرحي المعروض على خشبة المسرح.

التمهيد: الخلفية التاريخية والثقافية للمسرح السعودي

شهد المسرح السعودي تطورات متباعدة منذ نشأته الأولى في المدارس والنوادي الثقافية، وكانت بداياته مرتبطة بالأهداف التعليمية والدينية، ومع تطور المجتمع السعودي، بدأ المسرح يعكس قضايا اجتماعية وثقافية أوسع، متأثراً بالتحويلات السياسية والانفتاح الثقافي.

وفي العقود الأخيرة، ازدهر المسرح النسائي وبرزت أصوات نسائية ساهمت في طرح موضوعات مغايرة ترتبط بهوية المرأة السعودية وثقافتها وتحدياتها، ومن بين هذه الأسماء تأتي الكاتبة (ملحة العبد الله) بوصفها واحدة من أبرز رائدات المسرح النسائي المعاصر في المملكة.

نبذة عن الكاتبة (ملحة العبد الله) ومسيرتها المسرحية:

تُعد (ملحة العبد الله) من أهم الأسماء النسائية في المسرح السعودي المعاصر، حيث كتبت وأخرجت عددًا من المسرحيات التي عُرضت داخل المملكة وخارجها، ونالت جوائز محلية وعربية، وتتميز أعمالها بالجرأة في الطرح، والاهتمام بالهوية الثقافية، وتوظيف الرمز والأسطورة.

تخرّجت في كلية الآداب، وتخصصت في الأدب والنقد، وشاركت في مهرجانات عديدة من بينها مهرجان (سوق عكاظ) الذي قدمت فيه مسرحية (داعية السلام)، وقد أثارت أعمالها نقاشات واسعة بين النقاد، خصوصًا حول مفهوم (الخطاب النسوي) في المسرح، ودور المرأة في تشكيل الرؤية الثقافية المعاصرة.

الشخصية التراثية وتوظيفها في المسرح السعودي:

من المعلوم أن التراث يُمثل أحد أهم روافد تشكيل الآداب بصفة عامة، وأدبنا المعاصر بصفة خاصة وهو حاضر في فنون الأدب المختلفة، ومنها الفن المسرحي بطبيعة الحال، فالتراث يُشكل مصدرًا إلهامًا للكاتب بشكل عام، والكاتب المسرحي بشكل خاص، وذلك باعتباره مصدرًا يستدعيه الكاتب لزمان حاضر يتم معالجته فنيًا وفكريًا وجماليًا وتقنيًا في متن النص المسرحي^(٣).

وجدير بالذكر أن الاعتماد على الشخصية التراثية في تجسيد القيم المتوارثة وبثها عبر الأدب المسرحي كقيم ثقافية تمثل الوعي الجمعي للجمهور قد استُمد من النظرية النقدية الغربية، والتي أولت الحديث عن الشخصية في فنون السرد عناية فائقة، كما هو عند (فلاديمير بروب)، ثم عند خلفه (جريماس) في مخططة الوظيفي الشهير لبناء الشخصية^(٤).

وقد أخذ هذا البحث (النظرية النقدية الغربية) في عين الاعتبار حين تعرضه لتناول الشخصيات التراثية-زهير، والنابعة، والخنساء، وحسان بن ثابت (رضي الله

عنه) - المُستدعاة من ذاكرة التاريخ العربي والإسلامي إلى النص المسرحي السعودي الحديث والمعاصر.

ولعلنا في غنى عن التأكيد -هنا- أن توظيف الشخصية التراثية لا يعني بحال أننا إزاء كتابة تاريخية بمعنى تسجيل دقيق وصادق لوقائع وأحداث تاريخية كما وقعت في الحقيقة -أو كما يُظنُّ أنها وقعت حقيقةً- فليس هكذا الأدب والفنون، وليس هكذا المسرح الذي هو جنس منها؛ بل "إن المؤلف الدرامي يهدف أثناء مرحلة كتابة النص إلى وضع الشخصية المسرحية في موضعها الذي ينعكس في قالب درامي لا إلى وصفها كما في الحياة" (٥).

وهكذا، ينبغي النظر إلى توظيف المؤلف المسرحي للشخصية التراثية بوصفه فعلاً إبداعياً يهدف إلى استغلال الطاقات الحضارية والرمزية لهذه الشخصية في بناء رؤية معاصرة تخدم الواقع وتُلبي احتياجات القارئ المعاصر فكرياً وثقافياً إلى جانب احتياجاته الجمالية والنفسية.

هذا ما تحقق في شخصية (داعية السلام) باستحضار شخصيات من عمق التاريخ والتراث العربي يجمعها قاسم مُشترك واحد وهو الموروث الأخلاقي والحكمة العربية الأصيلة ونقلها إلى الحاضر في إطار تحكيم العقل ونبذ الكراهية والعنف والحرب والدعوة إلى السلام.

الأبعاد الثقافية:

إنَّ عبارة الأبعاد الثقافية تستدعي بالضرورة تحديد مفهوم الثقافة، ولعله من الأفضل أن نبدأ بتحديد من واقع التراث العربي، وذلك درءاً لتهمة التعامل مع النموذج الوافد تعاملًا تبعيًّا من جهة، ومحاولة لإتاحة الفرصة أمام النموذج العربي لأن يأخذ حقه في ممارسة وظيفته الثقافية من جهة أخرى، وبخاصة أنَّ هذا المفهوم له حضوره في النصوص التي سوف تتناولها الدراسة بعد ذلك.

فإذا ما حاولنا إلقاء الضوء على الموروث العربي القديم نجد أنه كان يمتلك الوعي بمفهوم الثقافة، فيذكر (ابن منظور) في لسانه أن الثقافة تستلزم "الفتنة ودقة الفهم، ولابد أن يكون المثقف ضابطاً لِكَمِّ محتوياته، وقائماً بها، وهذه المحتويات هي جملة المعارف من ناحية، وجملة الاحتياجات من ناحية أخرى" ^(٦)، ومن اللطيف أن يسوق البحث تعريف (ابن سلام الجُمحي) لمفهوم الثقافة بمصادره الحسيّة والفكريّة المختلفة، وذلك في معرض حديثه عن (صناعة الشعر)، إذ يقول: "إنّ للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تتقفه العين، ومنها ما تتقفه الأذن، ومنها ما تتقفه اليد، ومنها ما يتقفه اللسان" ^(٧).

يُعرف (إدوار تيلور) الثقافة تعريفاً كلياً مجرداً بقوله: "إنها الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة المقيدة والفنّ، والأخلاق، والتقاليد، وأي نوع آخر من القدرات، والعادات التي اكتسبها المرء بوصفه عضواً في المجتمع" ^(٨).

وعلى هذا الحال تبدو "الثقافة متعددة الوجوه والاحتمالات، فهي تجمع بين الماديّ والمعنويّ والفطريّ والمكتسب، والداخليّ، والخارجي... إلخ، كما تبدو متحركة وليست ثابتة..." ^(٩).

ولا شك أن الكلام السابق يُؤمى لنا بأن "الثقافة في حالة صيرورة دائمة عامرة بالحيوية والاختلاف وهي حُرّة التحرك في كل الاتجاهات، وربما كان ذلك سبباً لنا في اختيار عبارة (الأبعاد الثقافية) حتى لا يُفهم أنّ الثقافة مقصورة على ما هو تراثي ثابت ومستقرّ، ولا بد وأن نُشير إلى أن هناك ثقافة مركزية، وأخرى فرعية وهذه الأخيرة تُعد فرعاً عن الأصل وتكتسب خصوصيتها من المجتمع الذي تستوعب خواصّه ومجموع اهتماماته، فتحدد نظام حياته في ضوء أعرافه وتقاليده" ^(١٠).

وهذا يعني أن الثقافة تُمارس سلطتها على السلوك الإبداعي للإنسان، فيقاوم النصّ الإبداعيّ الثقافة المهيمنة حيناً، وقد تُهيمن عليه الثقافة حيناً آخر.

المبحث الأول

القيم الثقافية وآليات ترسيخها في مسرحية (داعية السلام) لـ (ملحة العبد الله) قراءة في جدلية المسرح والمجتمع

تَخر مسرحية "داعية السلام" للكاتبة السعودية الدكتورة / ملحة العبد الله بالقيم الفكرية والإنسانية العميقة، كونها عملاً مسرحياً يستند إلى الإرث العربي، وشخصية (زُهير بن أبي سُلمى^(١)) بوصفه شاعر السلام في الجاهلية.

تسعى الدراسة إلى تحليل القيم الثقافية التي تطرحها المسرحية وذلك من خلال الوقوف على الكيفيات التي يتم بها ترسيخ هذه القيم أو توليدها داخل النص المسرحي. أمّا نص المسرحية فهو يدمج بين الرؤية التاريخية والرسالة المعاصرة، ويستخدم الحوار بين الشعراء - شعراء المعلقات - وعلى رأسهم (زُهير) كسرود مسرحي؛ لإبراز فكرتي (السّلام - التّصالح) في المجتمع.

ترتكز المسرحية على رمزيتين، وهما:

- (زُهير) باعتباره داعية تاريخي للسّلام.
 - شعراء المعلقات كممثلين لتعابير القبائل وقيمهم، مما يُضفي عمقاً ثقافياً وتاريخياً.
- وانطلاقاً من المنهج الذي ترتكز عليه الدراسة، سيقوم البحث بتحليل بنية المسرحية وشخصياتها وحواراتها؛ وذلك لاستخلاص القيم الثقافية التي تسعى الكاتبة إلى إيصالها، مع ربطها بالسياق الاجتماعي والثقافي السعودي.
- والإليك تفصيلاً لأهم القيم التي تتجلى في المسرحية:

القيم البارزة في مسرحية (داعية السلام):

١- قيمة السلام:

تَعتمد مسرحية (داعية السلام) على بناء درامي متماسك يتضمن شخصيات رمزية وصراعات فكرية، كما تطرح المسرحية فكرة السلام كقيمة مركزية، تتفرع عنها

قيم الحوار والتعايش والعدل، ومن خلال الحوارات تتضح ملامح التحول الفكري لدى الشخصيات، ويبرز البعد الثقافي في توظيف اللغة.

تُعد قيمة السلام القيمة المركزية في النص، ويظهر من خلال مواقف الشخصية المحورية (زُهير بن أبي سُلمى) كرمز للسلام، يدعو لنبذ الحرب بين القبائل، فمن المعلوم أن السلام لا يُطرح كضعف، بل كقوة نابعة من الحكمة وبُعد النظر، فرسالة القوة الحقيقية ليست في السيف، بل في الكلمة التي تمنع إراقة الدم.

ونسوق هُنا شاهدًا من النص المسرحي على كل قيمة (السلام ونبذ العنف):
"محسن: من أرضٍ هبط فيها جبريلُ بأجنحة السَّلام، تغسل الكراهية وتدعو للسَّلام، تحيَّتنا فيها سلام على مَنْ نعرف ومَنْ لا نعرف.

زُهير بن أبي سُلمى: "فأصبحتما منها على خير موطنٍ بعيدين فيها من عقوقٍ ومأثمٍ" (١٢).

٢ - العدل ونبذ الظلم:

تُرفض الحروب العنيفة التي تقوم على الثَّار والتسلط، وهُناك نقد ضمني للمجتمعات التي تُعلي من شأن النزاعات دون مساءلة أخلاقية.

(زهير) في النص ينادي: "العدل زينة القوة، وظلمك يُسقط هيبتك" (١٣).

٣ - الحكمة والعقلانية:

تُمثل الشخصية المحورية شخصية (زهير) صوت الحكمة والعقل وسط عالم مضطرب.

يقول (مطلق) محاورًا (محسن) حول حكمة (زهير) حينما سأله عن الرجل الذي يراه عند البئر.

"محسن: هل لك أن تُمعِن النَّظَرَ فترى ما أرى! أو تسمع ما أسمع؟" (١٤).

مطلق: أكاد ألا أصدق ناظري.

محسن: أجنّي أم إنسيّ ذاك؟

مطلق: إنّه زهير بن أبي سلمى، الذي لطالما حدّثتني أمي عن حكمه التي يرويها حول الآبار.

"زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّئْمَ يُشْتَمُ"^(١٥).

الحوار المسرحي بين الشعراء عبارة عن نقاش فكري، وليس فقط مشادة لفظية، تسوّق المسرحية للفكر التأملي مقابل الانفعال والتسرّع.

٤ - التسامح والمصالحة:

تشجّع المسرحية على فتح باب التصالح بين الأطراف المتنازعة. ولا تختزل العدالة في القصاص، بل في إغلاق ملفات الماضي لمصلحة الحاضر.

يتجلى التسامح في النص المسرحي في قول (عنتر بن شداد): "لم يكن بيننا عداً يا أبا أمّام، بل كلّ حبٍّ ومودة"^(١٦).

كما يظهر -أيضاً- في مجلس الصلح بين عبس وذبيان والذي توسّطه (النابغة)، وافتتحه بقوله: "بما أنني أنسبُ إلى أحد الفريقين فوساطتي مجروحةٌ لبعضكم، فقد أرسلنا في طلب اثنين من الزّمن الآتي، فهل تقبلون وساطتهم"^(١٧).

٥ - الهوية الثقافية والاعتزاز بالإرث العربي:

تظهر الهوية الثقافية من خلال استدعاء شخصيات شعرية مثل (زهير)، وهذا الاستدعاء يُعيد الاعتبار لقيم الجاهلية الإيجابية مثل:

* كراهية الغدر. * الانتصار للحق.

ويُمكن القول إن الكاتبة - ملحة العبد الله - تنقلنا عبر هذا النص من التراث إلى الحاضر بطريقة مسرحية شعرية.

٦- تمكين المرأة بشكل غير مباشر:

رغم أن النص لا يركّز على امرأة، فإن د. (ملحة العبد الله) كامرأة مؤلفة له تعكس فكرًا نسويًا ناعمًا من خلال إبراز "قيمة الحكمة والموقف الأخلاقي" وليس القوة الذكورية.

يتجلى تمكين المرأة في تسليط الضوء على شخصية (الخنساء) (تماضر بنت تميم) ودورها ومكانتها الشعرية والأدبية بين شعراء الجاهلية، يذكرها (زهير) بين أصدقائه في قوله: النابغة والأعشى والخنساء والأبرص... إلخ، ثم يقف على البئر وينشد، متظاهرًا بوجود علاقة حبّ بينه وبين الخنساء، فيقول في مطلع قصيدته:

"ثُرْتُكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ

وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الْكَاشِحِينَ"^(١٨)

إلى آخر القصيدة.

وترد عليه الخنساء بقولها:

قَدَىٰ بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ ... أُمُّ ذَرَفْتُ إِذْ خَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارِ

تسوق الدراسة إنصاف (النابغة) للمرأة -الخنساء- حيث سأل أبا الخنساء عن المشكلة القائمة بينها وبين (ثريد بن الصِّمَّة)، وقبل السماع منهما قال: (أحب أن أستمع إلى شعر الخنساء..) فأسمعه أبوها قصيدتها والتي تقول في مطلعها: (قَدَىٰ بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ ...)، وبعد السماع كان رد فعل (النابغة): "لله درك يا (تماضر)، والله لولا أَنَّ (أبا بصير) أنشدني آنفاً لقلت أنك أشعر الجن والإنس..."^(١٩).

وهذه اللوحة فيها دلالة واضحة على تمكين المرأة بشكل غير مباشر .

كيف تظهر القيم داخل الحكمة؟

من خلال (الصراع الدرامي) بين صوت (زهير) (السلام) وأصوات أخرى تُمثّل الحرب والثأر، ومن خلال الحوار بين الشعراء، الذي يدمج بين البلاغة والفكر .
استخدام الرمز المسرحي مثل: (الكعبة، القبائل، الدم) لإضفاء طابع أخلاقي عميق .

خلاصة القيم الرئيسية:

القيم	التوضيح
السلام	الدعوة لنبذ الحروب والثأر
الحكمة	الانتصار للعقل بدل العنف
التسامح	المصالحة بدل الانتقام
الهوية	الفخر بالتراث النبيل لا بالدموية
العدل	نقد الظلم وتحكيم الضمير
الكرامة الإنسانية	احترام الإنسان أيًا كانت هويته

ومن اللطيف بيان كيف تلعب هذه القيم دورًا في (بناء وتوجيه الوعي الثقافي).

ما المقصود بـ "الفكر الثقافي"؟

الفكر الثقافي هو: المنظومة التي تُشكّل وعي المجتمع وسلوكياته ورؤيته للعالم، ويقوم على قيم مثل: السلام، العدالة، التسامح، الهوية، والكرامة.

المبحث الثاني

دور القيم المسرحية في تشكيل الفكر الثقافي

تتكرر بيننا المقولة الشهيرة "أعطني خبزاً ومسرْحاً أعطيك شعباً مثقفاً" (٢٠) والتي تدل دلالة واضحة إلى أثر المسرح التنموي وأهميته منذ القدم للمجتمعات (الشعوب) كأحد منابر الأدب والثقافة ومختلف الفنون، ويؤكد هذا الكلام الدكتور (محمد زكي العشماوي) حيث يقول: "ما أظننا نغلو في القول إننا اليوم أشد منا في أي يوم آخر حاجة إلى العناية بالمسرح ... ولعلنا كذلك لا نغالي إذا قلنا إن الأدب التمثيلي هو أكثر آدابنا حاجة إلى الرعاية وبذل الجهد والتماس النضج والأصالة، والتطلع إلى النهوض، نهضة تكفل لشعبنا العربي ما هو أهل له، وعلى الأخص في هذا الوقت الذي نخطط فيه لمستقبلنا وندعم فيه البناء لغد آمن مستقر" (٢١).

ويبرز البحث دور القيم في مسرحية (داعية السلام) في تشكيل الفكر الثقافي، على النحو التالي:

١ - التأثير والأثر الثقافي والفكري لقيمة السلام:

من الإشارات القوية على الدعوة إلى السلام

قول النابغة: (عنترة بن شداد، الفارس العبسي، عدو الأُمس وحليف اليوم)، وقول الحارث: إنما جئنا جميعاً لنشهد توقيع المعاهدة بين عبس وذبيان.

ومنه أيضاً قول النابغة لحسان (رضي الله عنه)، حين أنشده:

لنا الجفناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دما

فبإداره النابغة قائلاً: إِنَّكَ شاعرٌ، ولكن أقللت جفانك و أسيافك" (٢٢).

– التأثير: تنقل المسرحية رسالة مفادها أن السلام اختيار حضاري، لا مجرد ردّة فعل، في عالم يشهد عنفاً سياسياً وطائفيًا، تزرع المسرحية قيمة تجعل العقلانية بديلاً للسلاح.

– الأثر الثقافي: تُؤسس لعقل عربي يرى المصالحة شرفاً، وتُعيد تعريف "الرجولة" كحكمة لا كقوة جسدية.

٢- التأثير و الأثر الثقافي والفكري لقيمة العدل ونبذ الظلم:

عدم إجبار الفتاة على الزواج من رجلٍ لا ترغب فيه، فكان (دريد بن الصِّمَّة) يُكثر الهدايا لأبيها وحَكَمَ النابغة في الأمر، فقال النابغة: "لا نملك أن نجبر فتاة على زواجها يا دريد" (٢٣).

– التأثير: تُعَلِّم المسرحية أن الظلم ليس فقط ظُلم الفقراء، بل أيضاً ظُلم الذات عندما نسمح للحرب بأن تُسرق أخلاقنا.

– الأثر الثقافي: تُشكِّل وعياً نقدياً داخل المجتمع، بحيث يُصبح المواطن قادراً على التصدي للعادات الظالمة.

٣- التأثير و الأثر الثقافي والفكري للتسامح والمصالحة:

يتجلى التسامح في النص المسرحي في قول عنتره بن شداد: "لم يكن بيننا عداءٌ يا أبا أمّام، بل كلُّ حبٍّ ومودة" (٢٤).

– التأثير: في نص يُستمد من بيئة قبلية، يُظهر أن حتى القبائل الجاهلية كانت تبحث عن السلام.

– الأثر الثقافي: تُساعد في تفكيك مفاهيم الثأر والانتقام المتجذرة في المجتمعات العربية، وتُقدِّم بديلاً إنسانياً.

٤- التأثير والأثر الثقافي والفكري للحكمة والعقلانية:

يتجلى في صوت (زهير):

"وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَكُنْ حَمْدُهُ دَمًا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ" (٢٥).

- التأثير: الشخصية المحورية (زهير) تمثل التفكير الرزين، القائم على التأمل والتبصر.
- الأثر الثقافي: تُرسخ في الوعي أن الصوت العقلاني ليس ضعيفاً، بل هو الذي يصنع التغيير الحقيقي.

٥- التأثير والأثر الثقافي والفكري للاعتزاز بالإرث الإنساني:

- "يقول محسن: يا مطلق يا صديق عمري، يا حياتي، فات الكثير ولم يتبق إلا القليل، ف بوعذك يارجل، (يحاول أن يستنهضه)، فيرد عليه زهير قائلاً:
وَمَنْ يُوفِ لَأَيِّدَمٍ وَمَنْ يُهْدِ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبَرِّ لَا يَتَجَمَّعُ" (٢٦)
- التأثير: المسرحية تُعيد ربطنا بشعراء المعلقات كمصدر للفخر لا للتعصب.
- الأثر الثقافي: تُساهم في خلق هوية عربية أصيلة لكن منفتحة، ترى في التراث نوراً، لا قيداً.

٦- التأثير والأثر الثقافي لقيمة الكرامة الإنسانية:

- يتجلى هذا في احترام الفرسان لعنترة، فيقول عنترة مُعتزاً بنفسه وكرامته: "ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها ... قيل الفوارس ..." (٢٧).
- محسن: ويك عنترة أقدم.
- التأثير: تُظهر المسرحية أن الإنسان يجب أن يُحترم بصفته إنساناً، لا بناءً على عرقه أو قبيلته.
- الأثر الثقافي: تُبني ثقافة حقوقية وإنسانية، خاصة في الجيل الجديد، وتُعيد ترتيب الأولويات الأخلاقية.
- مسرحية (داعية السلام) ليست فقط أدباً، بل أداة ثقافية تُعيد تشكيل وعي المجتمع العربي، وخاصة في قضايا مثل:

- الصراع والاختلاف.
- السلطة والعدل.
- الأصالة والانفتاح.

إنها مسرحية تنتمي إلى "المسرح التنويري"، الذي يُسهم في بناء إنسان حُرّ، ناقد، مُسالِم، ومُتصالح مع ذاته وتاريخه.

المبحث الثالث

دور المسرح في تشكيل الوعي الثقافي والاجتماعي لدى المجتمع السعودي
في ضوء مسرحية (داعية السلام) للدكتورة (ملحة العبد الله)

مقدمة:

يحتل المسرح في دول العالم المتقدم مرتبة مُهمّة في الحياة اليومية مُحققًا ما تُخطّطه من الأهداف التربوية أو الأخلاقية أو الأمنية وحتى السياسية وهو أحد أهم الوسائل الإعلامية التي ترقى بالمتلقي (الجمهور) وتُساعد على ترسيخ الهوية الوطنية وهو الساعي دومًا لتوفير حلول لمشكلات المجتمع وخصوصًا ما يندرج تحت التنشئة الاجتماعية صانعًا مرآة واضحة لملامح المجتمع بمحاسنه وسيئاته ويحفزه بخطاب مؤثر جدًّا للتغيير.

يُعدّ المسرح واحدًا من أهم الوسائل التعبيرية القادرة على التفاعل مع قضايا المجتمع وهمومه، حيث لا يقتصر دوره على الترفيه، بل يمتد إلى تشكيل الوعي الثقافي والاجتماعي، وتُجسد مسرحية "داعية السلام" للدكتورة ملحة العبد الله هذا الدور التنويري، إذ تستدعي رموز التراث العربي لتناقش قضايا الحرب، والعدل، والسلام، والتسامح، وتُعيد صياغة المفاهيم السائدة في الوجدان الجمعي.

أولاً: المسرح أداة للوعي الثقافي

١- نقل التراث وتفعيله:

في (داعية السلام)، تستحضر المؤلفة شخصيات من شعراء المعلقات مثل: (زهير بن أبي سلمى) و(الذبياني)، في قالب مسرحي حوارى، هذا الاستحضار لا يهدف إلى التمجيد فحسب، بل إلى تفكيك قيم الماضي وتوظيفها لطرح أسئلة الحاضر، فالمسرحية تُعيد الاعتبار للآرث العربي العقلاني، لا الدموي.

٢- بناء الهوية الثقافية:

تُعزز المسرحية الاعتزاز بالهوية العربية القائمة على الحلم، والتسامح، والوفاء بالعهد، وتُظهر أن السلام مكوّن أصيل في الثقافة العربية، لا مستورد خارجي، مما يُعيد تعريف علاقتنا بالتراث.

ثانياً: المسرح وبلورة الوعي الاجتماعي:

إذا كان من المسلّم به أن في قدرة المسرح أن يُلقن الشعب وطلاب العلم ما تلقّنه المعاهد والجامعات، وإذا كان من المقطوع به أن أثر المسرح في تنمية الوعي وتطوير الملكات لا يقل بأي حال عن أثر المدرسة والجامعة فهل يجوز لنا أن نقصد في بناء المسارح وإعداد العدة لتكوينها مع علمنا بأنها إحدى الدعامات الأساسية في بناء نهضتنا؟ فمن التراث الإنساني ما هو صالح لنهضتنا الحديثة وتكويننا الجديد ومنه ما هو غير صالح، من أجل ذلك كان علينا عند نشر الوعي والثقافة أن نكون على بصيرة بما نقوم به، لأنه (المسرح) الفن الذي لا يُمكن أن يُسلم قيادته إلا لفنان قادر على التأثير بالجماعة الإنسانية التي يعيش معها والتأثير فيها... "فالمسرحية تتجاوز تجربة الفرد في القصيدة والشعر إلى تجربة الجماعة كذوات متواصلة متأثرة ببعضها، وتتعدى القصة من نثر خيالي للقراءة إلى حياة تدب على خشبة لكافة الشخص والأحداث فضلاً عن اشتماله للأزياء والإكسسوارات والمؤثرات الضوئية والصوتية"^(٢٨).

١- نقد الظواهر السلبية:

المسرحية تطرح صراعاً رمزياً بين (قوى الحرب) و(قوى السلام) وذلك من خلال شخصياتها، التي تُسائل العقل الجمعي الذي يربط بين الرجولة والعنف. في مشهد رمزي: "تطرح السيوف وننشر أجنحة السلام"^(٢٩)... يتبدل مفهوم القوة من القتال إلى الكلمة.

٢- تعزيز قيم التسامح والعدل:

تتضمن المسرحية دعوة واضحة إلى الصُلح ونبذ الانتقام، وهو ما يُساهم في نشر وعي مجتمعي مُضاد لثقافة الثأر، الشخصيات تتغير من التعصب إلى التفاهم، مما يعكس تحولاً أخلاقياً وفكرياً يمكن أن يُلهم المشاهد.

ثالثاً: المسرح أداة تحوّل لا تجميد

المسرحية ليست عرضاً لماضي ساكن، بل نصّاً ديناميكياً يحاور الحاضر ويقترح مخرجاً من الأزمت، عبر الشعر، الحوار الرمزي، واستدعاء التاريخ، تتمكّن من غرس القيم الاجتماعية والإنسانية في المتلقي، تُحوّل المتلقي من مُشاهد سلبي إلى فاعل يتأمل ويتخذ موقفاً من القضايا الاجتماعية والسياسية.

كما اتضح لنا أنّ

مسرحية (داعية السلام) تُجسد وظيفة المسرح الحقيقية: تشكيل الوعي لا استهلاك الفكر، إنها تبرز كيف يمكن للمسرح أن يكون مساحة للجدل، والتعليم، وبناء الهويات، بعيداً عن الترفيه السطحي، لقد جعلت من التراث بوابة لوعي جديد، ومن الشعر القديم مرآة لحوارٍ معاصر.

المبحث الرابع: الأبعاد الثقافية في مسرحية "داعية السلام"

يرى المتخصصون أن "دخول المسرح في الحياة الاجتماعية سواء في إطار ديني اجتماعي أو اجتماعي سياسي، جعله يدخل في التدريب الواعي للفرد عبر محاكاته لأحاسيس هذا الفرد فالمسرح يحشد الانفعالات ويدفعها في الآفاق الطبيعية والاجتماعية، فيجعل الإنسان واعياً لحب الخير العام وكراهية الضرر العام لذلك كان المسرح يدرّب النفس الإنسانية على إعادة تقدير مواقفها واعتماد العقل والمنطق أساساً للرأي والموقف، إنه يثير الإنسان ليتخذ الموقف السليم ويزوده بالحافز السليم لبناء موقفه" (٣٠).

لذلك يتفق المثقفين والمفكرين والفنانين على أهمية المسرح وأثره بشكل عام ولكن الإشكال هو نظرة العوام من متشددين (بين إفراط وتفریط) ومدعين وجهلة فنظرتهم القاصرة وخصوصاً عندما يكونوا في موطن صناعة القرار الثقافي وصياغة النشاط الفني في أي جهة كانوا فهم كمتلقين للمسرح وغيره ينقصهم الشيء الكثير من الذوق والحضارة فضلاً عن الثقافة التي كانت كفيلة ليبصروا من خلالها دور أبي الفنون في الحراك التربوي والأوساط الفكرية الذي يرفع من ذائقة المجتمع ويُعلي من مستويات تفكيرهم وترقى بمداركهم نحو اتساع يشمل فنون الحياة التي يصورها المسرح ويحاكيها ويعالجها بجميلها المفرح المضحك وسيئها المُحزن المبكي، ويُطال المشتغلين في المسرح بعض من هذا فمنهم من لا يدرك أن المسرح وسيلة لدعوة مثلى نحو الفضائل سعياً إلى حياة أكثر استقراراً وأوفر أمناً بجميع أبعادها، فنجد المؤلف والمخرج والممثل (أعمدة العمل المسرحي) وهم في مرتبة المرسل المؤثر غير آبه برسالته وما قد يؤديه من معانٍ وذلك لاتخاذ اللعبة المسرحية غاية.

١ - البعد الإنساني الثقافي العالمي:

المسرحية تنطلق من مبدأ إنساني شامل، يدعو للسلام ويرفض الحرب والدمار أيّاً كان مصدره أو مُبرره، حيث يظهر هذا في خطاب الشخصيات التي تندد بالعنف

وتُظهر معاناة الإنسان في ظل الصراعات، فالبعد الثقافي هُنا يعكس تبني الثقافة العربية لقيم كونية مثل السلام والتسامح والعدل، "وهذا البعد الإنساني هو ماذهب إليه البولندي المسرحي الكبير جروتوفسكي **Grotowski** حيث كان يقوم بتجاربته في ورشته المسرحية والتي كان يدرب الممثلين بشكل جيد يعتمد على إعادة التفكير في النفس، وكيفية تعاملها مع الأدوار الإنسانية في الواقع، حيث كان منهجه شكل من أشكال التمثيل العلاجي للمشاهد والممثل معاً" (٣١).

ويُذكر أن "(السايكودراما) تعمل على تخفيف العدوانية لدى الأطفال اللقطاء وتبذ العنف والدعوة إلى السلام المجتمعي، وأنها (السايكودراما) تساعد على التعبير اللفظي الحر والتنفيس الانفعالي والتلقائي والاستبصار الذاتي في الموقف الجماعي" (٣٢). ولا يقتصر الأثر على العاملين فيه فقط، بل على المجتمع (المنقرج) بكافة أطيافه وفئاته وباختلاف أدوار أفرادهِ.

٢- البعد العربي الإسلامي:

تستحضر المسرحية موروثاً ثقافياً عربياً وإسلامياً يدعو إلى نبذ العنف، ويُعلي من شأن السلام والكرامة، قد نجد استشهاداً بالآيات القرآنية أو بأقوال من التراث العربي والإسلامي في الحوار المسرحي، والبعد الثقافي هُنا يعكس تفاعل النص مع الهوية الثقافية العربية الإسلامية، كمصدر أخلاقي ومرجعي.

٣- البعد النسوي "دور المرأة في ثقافة السلام":

تُبرز المسرحية دور المرأة كمحور فاعل في نشر قيم السلام ومقاومة الحرب، وأن المرأة ليست ضحية فحسب، بل صوت للمقاومة والحكمة، نلمس أيضاً شخصية البطلة (شخصية محورية نسائية) التي تتحدث باسم الضمير وتدعو لوقف النزاع.

البعد الثقافي هُنا يربط بين ثقافة السلام وتمكين المرأة، وهو طرح معاصر في الثقافة العربية الحديثة.

٤- البعد التاريخي "مقاومة الاستعمار والظلم":

إنَّ المسرح في العصر الحديث أُكسِي طابعًا جديدًا، فكان (مثلاً) أداة لتحريك الشعوب لنتور ضد الاستعمار أو الظلم مثلما صنع بريخت **Brecht** في مسرحه الذي عُرِفَ بالمسرح الملحمي، وكما استعمل "الفن المسرحي كوسيلة لإدماج الفرد في المجموعة بعد استقرارها أغوارها ولهذا سلط عليه علماء النفس الأضواء ولم يستطع علماء الاجتماع تجنبه" (٣٣).

المسرحية تحمل إشارات مباشرة أو رمزية إلى الاحتلال والاستعمار كقوى تدمر السلام وتنتهك القيم، يُمكن أن نجد إشارات إلى فلسطين أو العراق أو غيرها من الدول العربية التي عانت من الاحتلال.

البعد الثقافي هنا، فالثقافة العربية تنتظر إلى الاحتلال كعدو دائم للسلام، وتحمل ذاكرة المقاومة والمظلومية.

٥- البعد الثقافي التربوي "بناء الوعي":

المسرحية تطرح خطابًا تربويًا يُعزز مفهوم السلام في الوعي الجمعي، وتُحرِّك الجمهور نحو موقف ثقافي أخلاقي، نجد رسائلًا صريحة في النص تدعو إلى رفض الانقسام، وتُعزز الوحدة.

والبعد الثقافي هنا يتمثل في توظيف المسرح كوسيلة لبناء ثقافة واعية ورافضة للعنف.

٦- البُعد الرمزي "ثقافة الرمز والدلالة":

استخدام الرموز مثل (الحمامة)، (الدَّم)، (الشَّمْس)، أو (الطَّيْن) يُعبّر عن عمق ثقافي وفني، وقد تكون الشخصية نفسها (رمزًا) لفكرة السلام أو الوطن، والبعد الثقافي هنا يتجلى في كون المسرحية تستثمر الثقافة الرمزية العربية لتوصيل رسائلها.

خلاصة:

مسرحية "داعية السلام" ليست فقط نصًا فنيًا، بل مرآة للثقافة العربية الحديثة في بعدها الإنساني، الإسلامي، النسوي، والتربوي، وهي نموذج لمسرح يزرع بذور التغيير في وعي الأفراد، ويعكس القلق الجماعي من الحروب والانقسامات.

دور الشخصيات في تجسيد القيم:

تُعد الشخصيات في المسرح أداة مركزية لنقل الرسائل والقيم الفكرية، وفي مسرحية (داعية السلام) تكتسب الشخصيات بُعدًا رمزيًا يتجاوز طابعها الواقعي لتصبح تجسيدًا لقيم محددة، فالشخصية الرئيسة (داعية السلام) تمثل في بنيتها الفكرية الحكمة، والاعتدال، والالتزان، والقدرة على الإصلاح، وهي صورة ذهنية للمصلح الذي يحاول بناء الجسور في زمن التصدّع.

في المقابل، نجد شخصيات مضادة تُجسّد قيمًا مناقضة، مثل (نداء السلاح) أو (قائد الفتنة)، التي تمثل التعصّب والتطرف والتشطي المجتمعي، ويوظف الصراع بين هذه النماذج لتكثيف المفارقة الأخلاقية وتعميق التوتر الدرامي.

كذلك تظهر شخصيات مساندة مثل (الأمّ)، أو (الصوت الحكيم)، أو (الراوي)، الذين يلعبون أدوارًا محورية في دفع الخطاب نحو وضوح الرؤية، خاصة حين تكون الشخصيات في حالة تردّد أو غموض فكري، وتؤكد الكاتبة من خلالهم أن ترسيخ القيم لا يتم فقط عبر المواجهة، بل بالحوار والمواقف المؤثرة.

تُصاغ حوارات الشخصيات بعناية، بحيث تعبّر عن اتجاهات فكرية متباينة، ويُلاحظ أن الكاتبة لا تقع في فخ المباشرة، بل تترك المجال لتفاعل الأصوات، وتمنح كل شخصية مساحة لإقناع المتلقي، مما يُكسب النص ثراءً فكريًا ويُحيل القارئ إلى فضاء من التأمل النقدي.

القيم الثقافية والدينية والوطنية في النص

تحتل القيم موقعًا مركزيًا في مسرحية (داعية السلام)، حيث تسعى الكاتبة (ملحة العبد الله) إلى ترسيخ مجموعة من المبادئ التي تركز على الهوية الثقافية والدينية والوطنية، وتُعالج هذه القيم من خلال التفاعل بين الشخصيات، والحوار، والبنية الرمزية، والرموز الدلالية المستخدمة داخل النص.

أولاً: القيم الدينية

تبرز القيم الدينية في النص من خلال مفردات الخطاب المستمدة من الموروث الإسلامي، مثل مفاهيم (السلام)، (العدل)، (الفتنة)، و(الأمانة)، وتُستحضر الآيات القرآنية ضمنيًا في حوارات بعض الشخصيات التي تدعو إلى نبذ الفرقة والتحلي بالحكمة، مما يُضفي على النص بُعدًا روحيًا يعزز سلطته الأخلاقية.

ويأتي ذلك في انسجام مع طبيعة المجتمع السعودي المحافظ، الذي يتخذ من الدين مرجعًا أساسيًا في رؤيته للكون والحياة، فتُصبح الدعوة إلى السلام ليست مجرد موقف سياسي أو اجتماعي، بل واجبًا دينيًا كذلك.

ثانيًا: القيم الوطنية

تُشكّل القيم الوطنية محورًا أساسيًا في البناء الدرامي للنص، حيث تُصور المسرحية الوطن باعتباره الكيان الأسمى الذي يجب الدفاع عنه ضد دعاة التفرقة والخراب، ويظهر ذلك من خلال تصوير الشخصيات الوطنية كحماة للوحدة، يرفضون التحزّب والانقسام، ويقدمون مصلحة الوطن على المصالح الشخصية أو الفئوية.

تُوظف الكاتبة مفردات مثل (الوطن)، (الراية)، (الأرض)، و(الولاء) بشكل متكرر، مما يُعزّز الشعور بالانتماء ويثير العاطفة الجماعية لدى الجمهور، كما يُظهر النص آثار الفتنة على المجتمع، ويُحدّر من نتائجها التي تُهدد استقرار الدولة وهويتها.

ثالثاً: القيم الثقافية والاجتماعية

تُشير المسرحية إلى عدد من القيم الثقافية التي تتعلق بالهوية الجماعية مثل: احترام الكبير، تقديس العلم، مكانة الأم، وتكافل المجتمع، وتُعبّر بعض المشاهد عن هذه القيم بشكل غير مباشر، من خلال المواقف اليومية والمُفاضلة بين السلوك القيمي والسلوك الأناني أو الفوضوي.

يُلاحظ أيضاً أن الكاتبة تحرص على تمثيل المرأة كمصدرٍ للحكمة والمبادرة، في خرق واضح للصورة النمطية التي تُقصر المرأة على دور التابع، مما يُعطي بعداً حداثياً للنص ويضعه ضمن خطاب مسرحي تقدّمي.

أثر المسرحية في تشكيل الوعي الثقافي:

تلعب المسرحية، بوصفها شكلاً من أشكال التعبير الفني الجماهيري، دوراً مركزياً في إعادة تشكيل الوعي الثقافي لدى الجمهور، خاصة حين تكون مُحملة برسائل قيمية واجتماعية عميقة، وفي مسرحية (داعية السلام)، تتجلى هذه الوظيفة الثقافية بوضوح، إذ تسعى الكاتبة إلى تحفيز المتلقي نحو إعادة التفكير في مفاهيم السلام والهوية والانتماء، في ضوء ما يعيشه المجتمع من تحولات وتحديات فكرية.

١ - التوعية بخطورة الفتنة والانقسام:

يتجلى أثر المسرحية في كشفها لمآلات الفتنة الداخلية، حيث تُظهر الكاتبة كيف أن الانقسام المجتمعي لا يؤدي فقط إلى العنف، بل يُقوّض أسس الانتماء ويزرع الشك في القيم، ومن خلال الصراع الدرامي بين الشخصيات، يُدرك المتلقي أن السلم المجتمعي ليس حالة تلقائية، بل نتيجة لجهد فكري وأخلاقي.

كما تطرح المسرحية سؤالاً محورياً: من هو المسؤول عن تأجيج الصراعات؟ وهل الصمت عن الفتنة يُعد مشاركة فيها؟ هذه الأسئلة تُسهم في تنشيط وعي المتلقي وتدفعه إلى المساءلة والمشاركة النقدية.

٢- تعزيز الخطاب الإصلاحي والوطني

تُقدّم المسرحية نموذج (داعية السلام) كمثال للمواطن المثقف الذي يرفض الانقياد الأعمى ويعمل على الإصلاح بالقول والفعل، يُروّج من خلاله لخطاب وطني يتجاوز الخطابات الحزبية أو الطائفية، ويُعلي من شأن التنوير والعقلانية.

وهذا النموذج يُعيد الاعتبار لدور المثقف في المجتمع، ويُشير إلى أن مواجهة الانحرافات الفكرية لا تكون فقط عبر الوسائل الأمنية، بل بالوعي الثقافي والمواجهة الفكرية داخل المجتمع ذاته.

٣- إعادة الاعتبار للمسرح كمنصة تغيير

تكشف (داعية السلام) عن إمكانية توظيف المسرح كأداة تغيير حقيقية، إذ تمنح المتلقي فرصة لتأمل ذاته وجماعته من خلال المرآة الدرامية، فبدلاً من التلقين المباشر، تُقدم المسرحية تجربة جمالية تسمح بالانخراط العاطفي والعقلي، مما يُعمق التأثير ويجعله أكثر استدامة.

وتُعيد المسرحية الاعتبار للمسرح النسوي في السعودية، حيث تُثبت أن النصوص التي تكتبها المرأة يمكن أن تُعبّر عن قضايا المجتمع بأكمله، لا عن فئة منه فقط، مما يُعزز الرؤية التعددية في الوعي الثقافي.

الخاتمة والنتائج:

تُجسّد مسرحية (داعية السلام) للكاتبة الدكتوراة (ملحة العبد الله) نموذجًا متقدمًا من النصوص المسرحية السعودية التي تعكس تحولات فكرية وثقافية عميقة في المجتمع، ومن خلال تحليلها، يمكن استخلاص عدة نتائج مهمة تتعلق بدور المسرح في ترسيخ القيم وتشكيل الوعي.

– أولاً: تؤكد المسرحية على أهمية القيم الدينية والوطنية كمحاور رئيسية في بناء الهوية الثقافية، وتُبرز كيف أن هذه القيم ليست جامدة، بل حية ومتجددة تتفاعل مع الواقع الاجتماعي والسياسي.

– ثانياً: يتضح أن الشخصيات المسرحية ليست مجرد أدوار تمثيلية، بل هي حاملات لرسائل فكرية وأخلاقية تُثري النقاش وتدفع المتلقي إلى التأمل والمراجعة الذاتية.

– ثالثاً: أثبتت المسرحية قدرة المسرح النسائي السعودي على طرح قضايا المجتمع بطريقة نقدية وجمالية في آن واحد، مما يُعد علامة فارقة في تطور المسرح الوطني.

– رابعاً: يُساهم المسرح في تشكيل وعي جماعي جديد يرفض التفرقة والفتنة، ويُعلي من شأن الحوار والاعتدال كوسائل للحفاظ على السلم المجتمعي.

– خامساً: يُقدم لنا النص المسرحي فكرة، أو قيمة أيديولوجية، أو تجربة إنسانية، تتجسد عبر حوار حيّ ثري متنوع بين شخصيات المسرحية؛ وهنا يبرز دور الحوار في بناء الشخصيات واستكمال صورتها على النحو الذي يخدم أهداف الكاتبة.

– ختاماً، يُبرز هذا البحث أن مسرحية (داعية السلام) ليست فقط نصاً فنياً، بل خطاباً ثقافياً يحمل رؤية إصلاحية، ويُحفّز على التفكير النقدي، ويدعو إلى العمل المجتمعي البناء، مما يجعلها إضافة نوعية للمسرح السعودي المعاصر.

الهوامش

- (١) الدخيل، حمد ناصر، ١٤٢٠، الأدب العربي الحديث، من إصدارات النادي الأدبي بحائل - ط١، ص٣٩.
- (٢) تعريف المسرحية: هي قصة حوارية تُمثَّل وتصاحبها مناظر ومؤثرات مختلفة، ولذلك يراعى فيها جانبان: جانب التأليف للنص المسرحي، وجانب التمثيل الذي يجسم المسرحية أمام المشاهدين تجسيمًا حيًّا، وقد نقرأ المسرحية مطبوعة في كتاب دون أن نشاهدها ممثلة على المسرح فتتحول إلى ما يشبه القصة، ولكنها مع ذلك تظل محتفظة بمقوماتها الخاصة.
- ولم يعرف أربنا العربي المسرحية قبل العصر الحديث؛ لأننا أخذناها عن الغرب، أما "خيال الظل" الذي انتشر في العصر المملوكي، ويقال: إنه أصل المسرحية، فالفرق كبير بينهما. ينظر: التحرير الأدبي - د. حسين علي محمد حسين (ت ١٤٣١هـ) - مكتبة العبيكان - الطبعة: الخامسة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. ص ١٠٣.
- (٣) سُهي طه سالم، الرؤية الإخراجية والمعالجة السوسولوجية للتراث في العرض المسرحي، مجلة الأكاديمي - العدد ١٠٤ - ٢٠٢٢م - ص ٤٢.
- (٤) أحمد يحيى محمد، شخصية المرأة في التراث العربي: مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا - داركنوز - الأردن/ ط١ - ٢٠١٥م - ص ٢٦ - ٣٠.
- (٥) بحري قادة، معالم الشخصية المسرحية والنموذج الإنساني، مجلة النص - عدد ديسمبر - ٢٠١٩م - ص ٦٠.
- (٦) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: (ث / ق / ف)، ويشير إلى أصل المادة بقوله: "تقف الشيء ثقًّا وثقافًا وثقوفة: حَدَقَهُ، وفي حديث الهجرة: وهو غلام لقن تَقَفَّ؛ أي ذو فطنة ونكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ... والثقاف والثقافة: العمل بالسيف، وما تسوى به الرماح. وتثقيف الرمح تسويته"، ج ٩/ ص ١٩.
- (٧) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قراءة محمود شاكر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠١: ج ١/ ص ٥.
- (٨) د. عزالدين إسماعيل، آفاق معرفية في الإبداع والنقد والأدب والشعر، ط النادي الأدبي، جدة، ٢٠٠٣، ص ١١١.
- (٩) المرجع السابق نفسه ص ١١٢.
- (١٠) انظر مجلة فصول، ندوة العدد (النقد الثقافي)، العدد ٦٣ / شتاء وربيع ٢٠٠٤م / ص ١٨.

(١١) الشاعر: هو زهير بن ربيعة الملقب بأبي سلمى من قبيلة مزينة من مضر، ولكنه أقام عند بني غطفان لأنه تزوج منهم، ويقال: إنه غادر قومه لخلاف وقع بينه وبينهم فتركهم ونزل بأرض غطفان بالحاجر من نجد، فهو مزني النسب غطفاني النشأة. وزهير يحيط به الشعر من جميع أطرافه، فكان أبوه شاعرًا، وخاله بشامة بن الغدير شاعر، وزوج أمه أوس بن حجر شاعر أيضًا، وأختاه سلمى والخنساء شاعرتان، وكان ابنه بجير وكعب شاعرين، كما كان حفيده عقبة بن كعب المعروف بالمضرب شاعرًا، وكان ابن حفيده العوام بن المضرب شاعرًا أيضًا فهؤلاء خمسة شعراء من بيت واحد، مما لم يجتمع لشاعر آخر مثله، يقول ابن قتيبة: "إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، وفي الإسلام ما اتصل في ولد جرير" ينظر: الشعر والشعراء: ص ١٤٣/مج ١ تحقيق أحمد محمد شاكر، ط الثالثة سنة ١٩٧٧. مقدمة

شرح ديوان زهير: ص ٨، والشعراء ص ١٤٣/مج ١

(١٢) د/ ملحة العبدالله، داعية السلام ص ٢٠٣.

(١٣) د/ ملحة العبدالله، داعية السلام ص ١٦٧.

(١٤) د/ نفس المرجع السابق ص ١٤٩.

(١٥) المرجع السابق نفسه، ص ١٤٩.

(١٦) أمّام: أي: أمانة. د/ ملحة العبدالله، داعية السلام ص ١٩٥.

(١٧) د/ ملحة العبدالله، داعية السلام ص ٢٠٣.

(١٨) د/ ملحة العبدالله، داعية السلام ص ١٧١.

(١٩) السابق نفسه ص ١٨٢.

(٢٠) العشماوي، محمد زكي، بدون تاريخ (المسرح)، دار النهضة العربية - بيروت.

(٢١) المرجع السابق نفسه.

(٢٢) د/ ملحة العبدالله، داعية السلام ص ١٨٣. يقصد النابغة بقوله لحسان: أن الجفنان لأدنى العدد

(جمع القلة)، والكثير (جفان) أي: لجمع الكثرة، وكذلك (أسيافنا) لجمع القلة، وكان عليه أن

يقول: (سيوفنا).

(٢٣) د/ ملحة العبدالله، داعية السلام ص ١٨٥.

(٢٤) أمّام: أي: أمانة. د/ ملحة العبدالله، داعية السلام ص ١٩٥.

(٢٥) د/ ملحة العبدالله، داعية السلام ص ١٨٥.

(٢٦) المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٢٧) المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٢٨) العشماوي، محمد زكي، بدون تاريخ (المسرح)، دار النهضة العربية - بيروت.

- (٢٩) د/ ملحة العبدالله، داعية السلام، ص٢٠٣.
- (٣٠) عبد الغني، عباس علي، ٢٠٠٦، دور وسائل الإعلام في تنشئة الفرد- المسرح أنموذجًا، مجلة علوم إنسانية www.ulum.nl السنة الرابعة: العدد ٣٠: أيلول (سبتمبر).
- (٣١) حسين، كمال الدين، ٢٠٠٥، المسرح التعليمي المصطلح والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، ط١.
- (٣٢) أبو الفتوح، خالد، استخدام السايكودراما في تحقيق العدوانية لدى الأطفال اللقطاء مجهولي النسب، لسن ما قبل المدرسة، جامعة عين شمس، دراسات الطفولة.
- (٣٣) بن تردايت، زهير، ٢٠٠٣، ألعاب درامية، نشر ألفا للاتصال، تونس، ط١.

المصادر والمراجع:

- العبد الله، ملحة، (٢٠٢١)، مسرحية داعية السلام، منشورات وزارة الثقافة السعودية.
- أحمد يحيى محمد، (٢٠١٥)، شخصية المرأة في التراث العربي: مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا. دار كنوز. الأردن/ ط١، ص٢٦-٣٠.
- بن تردايت، زهير، ٢٠٠٣، ألعاب درامية، نشر ألفا للاتصال، تونس، ط١.
- حسين، كمال الدين، (٢٠٠٥)، المسرح التعليمي المصطلح والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، ط١.
- العشماوي، محمد زكي، بدون تاريخ (المسرح)، دار النهضة العربية - بيروت.
- عز الدين إسماعيل، (٢٠٠٣)، آفاق معرفية في الإبداع والنقد والأدب والشعر، طبعة النادي الأدبي، جدة.
- منصور، عبد الله، (٢٠١٦) - المسرح السعودي: من البدايات إلى الحاضر - دار الفكر العربي، جدة.
- يوسف إدريس، (يناير ١٩٧٤)، نحو مسرح عربي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة.
- قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، (١٤٣٥هـ)، الجزء (٢)، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ص١٠٣٤-١٠٣٥.
- بحري قادة، (٢٠١٩) معالم الشخصية المسرحية والنموذج الإنساني، مجلة النص - عدد ديسمبر، ص٦٠.
- بن صالح، فاطمة، (٢٠١٧)، "رمزية اللغة في المسرح السعودي: قراءة في مسرحيات نسائية"، مجلة الفنون، العدد ٨، ص٣٠-٥٠.

- سُهَي طه سالم، (٢٠٢٢) الرؤية الإخراجية والمعالجة السوسيولوجية للتراث في العرض المسرحي، مجلة الأكاديمي، العدد/١٠٤ - ص٤٢.
- الغامدي، خالد، (٢٠١٩). دور المسرح السعودي في تشكيل الوعي الثقافي، مجلة الدراسات المسرحية، العدد ١٢، ص ٤٥-٦٧.
- ابن سلام الجمحي، (٢٠٠١)، طبقات فحول الشعراء، قراءة محمود شاكر، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- ابن منظور، لسان العرب، (١٤١٤هـ) دار صادر ، بيروت ، الطبعة: الثالثة.
- الدخيل، حمد ناصر، (١٤٢٠)، الأدب العربي الحديث، من إصدارات النادي الأدبي بحائل - ط١ .
- الشمري، سعيد، (٢٠١٨)، "المسرح والهوية الوطنية في المملكة العربية السعودية"، المؤتمر الدولي للفنون المسرحية، الرياض.
- العنزي، نورة، (٢٠٢٠)، الخطاب النسوي في المسرح السعودي المعاصر، جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير.
- موقع صحيفة عكاظ: مقالات نقدية عن مسرحية (داعية السلام).
- موقع المدونة التحليلية لنص المسرحية: [mohamedkhatabmisar.blogspot.com] (https://mohamedkhatabmisar.blogspot.com/2011/01/4.html)
- وزارة الثقافة السعودية، (٢٠٢٢)، تقرير التنمية الثقافية، الرياض: الديوان الوطني.